

RESEARCH ARTICLE

Socio-Psychological Transformations within the Families of Martyred Scholars: A Sociological Reading in the Construction of Community Resilience

Sara Khaleel Mohsen *

General Directorate of Education – Al-Qadisiyah- Iraq

ABSTRACT

This research examines the martyrdom of scholars in Iraq as a pivotal structural event reshaping social relationships and psychological frameworks for families and society. Applying a sociological approach, it posits that scholars represent cognitive, symbolic, and moral capital in the Iraqi collective imagination; thus, their loss transcends physical absence to trigger complex dynamics of re-evaluating meaning and status. The study analyzes martyrs' families amidst systematic targeting of intellectuals, revealing a dialectic of loss where eroding household cognitive roles intersect with escalating social symbolic value. It explores status shifts, expanding support networks, and emerging leadership roles, particularly for women, alongside the transition of family identity toward a symbolic legacy. Psychologically, the research traces the trajectory from trauma to meaning reconstruction, identifying resilience as a culturally and religiously framed social practice. Finally, it establishes these sacrifices' role in forging a cross-generational collective memory that restores national identity and social cohesion during crises.

Keywords: Social transformations; Psychological transformations; Social resilience; Martyred, scientists.

مقالة بحثية

التحولات الاجتماعية - النفسية داخل أسر العلماء الشهداء: قراءة سوسيولوجية في بناء الصمود المجتمعي

ساره خليل محسن *

المديرية العامة لتربية القادسية ، وزارة التربية ، العراق

الملخص:

يتناول هذا البحث ظاهرة استشهاد العلماء في العراق بوصفها حدثاً بنيوياً مفصلياً أعاد تشكيل أنماط العلاقات الاجتماعية والبنى النفسية لأسرهم وللمجتمع الأوسع. وينطلق من مقارنة سوسيولوجية ترى أن العالم في المخيال الجمعي العراقي يشكل رأس مال معرفياً ورمزياً وأخلاقياً، وأن فقدانه لا يختزل في الخسارة الفيزيقية، بل يطلق ديناميات معقدة من إعادة إنتاج المعنى والمكانة. ويحلل البحث واقع أسر العلماء الشهداء في سياق استهداف الكفاءات العلمية والدينية، كاشفاً عن جدلية فقدان والتحول، حيث يتقاطع تآكل الدور المعرفي داخل الأسرة مع تصاعد القيمة الرمزية في الحقل الاجتماعي. كما يستكشف تحولات المكانة، واتساع شبكات الدعم، وبروز أدوار قيادية بديلة، لاسيما للمرأة، فضلاً عن انتقال الهوية الأسرية من الخصوصية إلى التعميم الرمزي المرتبط بإرث الشهيد. وعلى المستوى النفسي، يتتبع البحث مسار التحول من الصدمة إلى إعادة بناء المعنى، وصولاً إلى الصمود بوصفه ممارسة اجتماعية مؤطرة ثقافياً ومدعومة دينياً. ويختتم البحث بتأصيل دور هذه التضحيات في صياغة ذاكرة جمعية عابرة للأجيال، تساهم في ترميم الهوية الوطنية وتعزيز التماسك الاجتماعي في مواجهة الأزمات.

الكلمات المفتاحية: التحولات الاجتماعية ، التحولات النفسية ، الصمود الاجتماعي ، العلماء ، الشهداء .

Received 08-02- 2026; Revised 19-02 -2026; accepted 24-03- 2026. Available online 10-06- 2026

* Corresponding author.

E-mail addresses: ssarakhaleel@gmail.com (S.K. Mohsen).

<https://doi.org/xx.xxxx/2572-5440.1107>

2572-5440/© 2025 The Author(s). Published by Al-Muthanna University. This is an open-access article under the CC BY-NC-SA license

(<https://creativecommons.org/licenses/by-nc-sa/4.0/>)

المقدمة

وعلى المستوى النفسي.. نرى أن الأسرة تعيش حالة انتقال من الصدمة الأولى الى إعادة بناء المعنى ثم الصمود وهي مراحل تُظهر قدرة لافتة على تحويل الألم الى طاقة معنوية إيجابية ويتجلى الصمود فيها ليس بوصفه آلية نفسية فردية فحسب، بل بوصفه مشروعاً اجتماعياً تتقاطع فيه القيم الدينية والدعم المجتمعي وتمثلات الشهادة بما يجعل من الأسرة وحدة مقاومة قادرة على إنتاج توازن جديد رغم الفقد.

وينطلق هذا البحث من فرضية جوهرية مفادها أن استشهاد العالم لا يقتصر على كونه حدثاً فردياً بل هو نقطة انعطاف في حياة الأسرة تُعاد عندها صياغة الأدوار والعلاقات والمكانة والهوية. ولتحليل هذه الظاهرة يعتمد البحث مقاربة سوسولوجية تمثلت بنظرية رأس المال الرمزي لبيير بورديو، التي تفسر ديناميات المكانة والسلطة الرمزية في المجتمع ومن خلال هذه المقاربة.. يسعى البحث الحالي الى تقديم قراءة معمقة للكيفية التي تُبنى بها القدرة على الصمود داخل أسر العلماء الشهداء وإبراز خصوصية التجربة العراقية التي تجمع بين البعد الديني والاجتماعي في تشكل الذاكرة والهوية.

داخل الأسرة وكما لا تزال آليات الصمود داخل هذه الأسر ومسارات إعادة بناء المعنى وكيفية استثمار الدعم الاجتماعي والمؤسسي غير موثقة بما يكفي رغم كثافتها في واقعنا العراقي. ومن هنا ترى الباحثة أن إشكالية هذا البحث تكمن في التساؤل عن الاتي:

كيف تُسهم التحولات الاجتماعية والنفسية داخل أسر العلماء الشهداء في إعادة بناء الصمود المجتمعي؟ وما هو الدور الذي يؤديه رأس المال الرمزي والدعم الاجتماعي في تشكيل صمودها وإعادة بناء هويتها؟

وتتفرع من السؤال البحثي هذا.. تساؤلات اخرى وهي:

1. ما التغييرات الاجتماعية التي تظهر داخل الأسرة بعد الاستشهاد؟
2. ما أبرز التحولات النفسية التي تمر بها أسر العلماء الشهداء؟
3. ما نوع القيم والممارسات التي تنتج عن هذه التحولات؟
4. كيف تتحول التجربة الفردية للأسرة الى عنصر من عناصر الصمود المجتمعي؟

تشكل ظاهرة استشهاد العلماء في العراق إحدى أكثر الظواهر التي تركت أثراً عميقاً في البنية الاجتماعية والنفسية للمجتمع، فالعالم في المخيال الاجتماعي العراقي ليس مجرد فرد بل يمثل رمزا معرفيا وروحيا وحاملاً لرأس مال أخلاقي وديني ينعكس مباشرة على أسرته ومحيطه ومن ثم فإن فقده لا يقتصر على الخسارة البيولوجية وإنما يفتح فضاءً واسعاً من التحولات التي تتداخل فيها البنى الاجتماعية بالتمثلات الرمزية وتتقاطع فيه مشاعر الحزن مع معاني الرسالية والاستمرار.

لقد شهدت الساحة العراقية خلال العقود الأخيرة وما رافقها من استهداف للكفاءات الدينية والعلمية التي كان لها حضور اجتماعي مؤثر، واقعاً جديداً لأسرهم، واقعاً يمزج بين فقد الصوت المعرفي داخل الأسرة واكتساب رأس مال رمزي مضاعف في المجتمع وهذا المزج المعقد يولد سلسلة من التحولات الاجتماعية التي تتمثل في إعادة تشكيل المكانة وتوسع الشبكات الاجتماعية وتساعد الدور القيادي للمرأة، إضافة الى إعادة صياغة الهوية الأسرية من (هوية خاصة) الى (هوية عامة) مرتبطة بإرث الشهيد العلمي والديني.

المبحث الأول: الاطار العام للبحث

اولاً: مشكلة البحث:

تمثل ظاهرة استشهاد العلماء حدثاً استثنائياً لا يقتصر أثره على البعد الفردي أو الاسري المباشر، إنما يمتد ليحدث اختلالات وإعادة لتشكيل البنى القيمية والرمزية التي تنتظم حولها الأسرة والمجتمع على حد سواء. فأسرة العالم الشهيد لا تواجه فقداناً إنسانياً فحسب، بل تتداخل فيه مسارات معقدة من التحولات الاجتماعية والنفسية، اذ تتقاطع فيه معاني التضحية والتوقعات المجتمعية والقداسة الرمزية مع واقع الألم النفسي ويرافق ذلك إعادة لتوزيع الأدوار وتعريف المكانة الاجتماعية للأسرة داخل الحقل الاجتماعي.

وتكمن المشكلة الرئيسة في غياب إطار تفسيري نظري يجمع بين التحولات الاجتماعية- النفسية وبين رأس المال الرمزي الذي يمتلكه العالم الشهيد، وكيف يمكن أن تتحول مكانته من حضور حي الى قوة معنوية تعاد من خلالها صياغة الأدوار والعلاقات والأولويات

ثانياً: أهمية البحث:

: الأهمية العلمية

- تتجلى الأهمية العلمية للبحث في كونه يسد فجوة معرفية في الدراسات السوسولوجية المتعلقة بأسر الشهداء، بتركيزه على تحليل التحولات الاجتماعية والنفسية.
- يساهم في تطوير المفاهيم المرتبطة بالصدوم المجتمعي بوصفه مدخلاً لفهم آلياته.
- يقدم إطاراً سوسولوجياً لفهم تأثير استشهاد العلماء على البنية القيمية.

: الأهمية الاجتماعية

- يساعد في فهم احتياجات أسر العلماء الشهداء نفسياً واجتماعياً.
- يوضح كيف تتحول التجارب المؤلمة إلى قوة مجتمعية داعمة.
- يدعم المؤسسات المعنية بالرعاية الاجتماعية في تطوير برامج فعالة لهذه الفئة.

ثالثاً: أهداف البحث:

1. تحليل التحولات الاجتماعية والنفسية داخل أسر العلماء الشهداء من خلال دراسة التغيرات في الأدوار والعلاقات والسلطة الرمزية وفهم مراحل التكيف النفسي وإعادة بناء المعنى بعد الفقد.
2. الكشف عن رأس المال الرمزي والاجتماعي المكتسب بعد الاستشهاد وتفسير كيفية تحوله إلى قوة داعمة للأسرة في مواجهة الصدمة بالاستناد إلى مقارنة بورديو في تحليل المكانة والشرعية الاجتماعية.
3. دراسة تشكّل الهوية الأسرية الجديدة وكيف انتقلت الأسرة من الهوية الخاصة المرتبطة بالفقد إلى هوية عامة تمثل الإرث العلمي والروحي للشهيد وتعيد صياغة حضورها في المجتمع.
4. تحليل أنماط الدعم الاجتماعي والثقافي الموجه للأسر بما يشمل المؤسسات الدينية والمجتمع المحلي وشبكات

العلاقات ودورها في تعزيز الصمود وتحويل التجربة الفردية إلى طاقة مجتمعية.

5. بلورة إطار تفسيري سوسولوجي- نفسي يربط بين التحولات الأسرية وآليات تشكل الصمود المجتمعي في ضوء المقاربات النظرية.

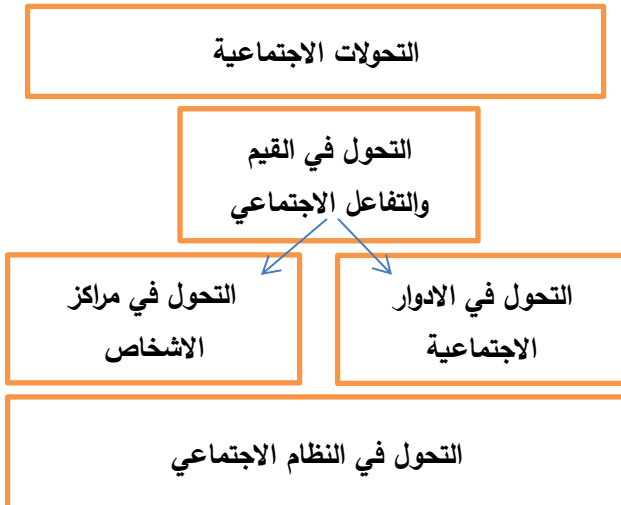
6. للصدوم النفسي ورأس المال الرمزي وإبراز الخصوصية العراقية في هذا السياق.

رابعاً: تحديد المفاهيم والمصطلحات العلمية

1. التحولات الاجتماعية: Social Transformations

يعرف التحول.. بأنه التغير ما بين الحالة القديمة والحالة الجديدة أو اختلاف الشيء عما كان عليه خلال فترة محدودة من الزمن، أي أنه التغير الذي يحدث داخل المجتمع أو التحول الذي طرأ على جوانبه وبالتالي هو تحول يطرأ على البناء الاجتماعي للمجتمع خلال فترات من الزمن، فالتغيير في النظم الاجتماعية وأنماط العلاقات الاجتماعية والقيم والمعايير هي التي تؤثر على سلوكهم وتحدد بشكل أو بآخر أدوارهم ومكانتهم في مختلف المواقع الاجتماعية التي ينتمون إليها. [14 ، ص 43-45]

بينما يطرح عاطف غيث تعريفه للتحولات الاجتماعية بالقول: أنها جملة التحولات الاجتماعية التي تحدث في التنظيم الاجتماعي أي في بناء المجتمع ووظائف هذا البناء المتعددة، وهو بذلك يحدد أربعة أشكال للتحول كالآتي: [22 ، ص 19-20]



جديدة تتصف بإعادة بناء التصورات وتعديل الاستجابات الانفعالية وتغير آليات المواجهة. [2، ص 165]

ومثل هذه التحولات بطبيعة الحال لا تحدث بمعزل عن السياق الاجتماعي بل تتفاعل مع التجارب الجماعية والرموز الثقافية مما يجعل الفرد يعيد تفسير ذاته ودوره بناءً على معنى الحدث الذي يتعرض له. [29، ص 12]

فالتحولات النفسية هي استجابة طبيعية للأحداث الصادمة وهي من أبرز سمات المجتمعات التي مرت بتجارب العنف والفقْد والتهديد، بحيث انها تُسهم في تشكيل قدرات الافراد على الصمود وإعادة بناء التوازن الداخلي عن طريق تطوير أساليب جديدة للتكيف والتعامل مع الفقد أو التحدي. [2، ص 167] كما ويوضح مختصون في علم النفس الإكلينيكي أن التحولات النفسية قد تكون إيجابية إذا رافقها دعم اجتماعي ومعنوي لتتحول الخبرة المؤلمة إلى قوة داخلية تعزز النمو النفسي وتحفز إعادة صياغة الهوية والمواقف. [5، ص 11]

ومن هذا نفهم أن التحولات النفسية عملية ديناميكية تتداخل فيها الخبرة الشخصية مع السياق الاجتماعي مما يجعلها محوراً أساسياً لفهم آليات الصمود لدى أسر العلماء الشهداء. اما التعريف الاجرائي للتحولات النفسية هو: التغيرات العاطفية والمعرفية التي يمر بها الفرد بعد حدث صادم وتشمل أساليب التكيف وإعادة بناء المعنى وتنظيم الانفعالات وتطور الهوية الذاتية بعد التجربة.

3. الصمود المجتمعي: Social Resilience

يُعد الصمود المجتمعي واحداً من المفاهيم المركزية في الدراسات الاجتماعية والنفسية المعاصرة، ويشير إلى: قدرة المجتمع بأفراده ومؤسساته وشبكاتته الرمزية على مواجهة الأزمات والضغوط والتغيرات المفاجئة مع الاحتفاظ بوظيفته الأساسية واستعادة توازنه على المدى القريب والبعيد فهو مجموعة من القدرات البنيوية والثقافية والتنظيمية التي تمكن المجتمع من امتصاص الصدمة والتكيف معها وإعادة بناء أنماط الحياة بشكل أكثر قوة وفعالية. [10، ص 44-46]

كما ويشير مفهوم التحولات الاجتماعية إلى جملة التغيرات التي تحدث والانتقال من وضع إلى آخر، وبنحو جذري سواء في التفاصيل الخارجية أو المضمون الداخلي، فهو يعني الانتقال من حالة إلى أخرى وتبدل في المعالم الكلية للأوضاع أو الأشياء وفي جانبها الاجتماعي فإن التحول يقصد به التغيرات الجزئية وأحياناً الجذرية التي تحدث في البناء الاجتماعي وفي مجموع القيم والمعاني والوظائف والتركيبية والأدوار الاجتماعية، بمعنى كل تغيرات البناء الاجتماعي بما تحمله من معايير وقيم لأفراد المجتمع. [24، ص 27]

كما أن حدوث التحولات الاجتماعية يعني تغييرات تصيب الأسرة والمجتمع نتيجة حدوث أحداث استثنائية كفقْد شخصية مركزية ذات مكانة علمية أو رمزية، مما يؤدي إلى إعادة تشكيل الأدوار والمسؤوليات داخل الأسرة وصعود رأس مال رمزي جديد يولد أنماطاً من الصمود والمقاومة الاجتماعية. [7، ص 23]

ويطرح البعض رؤيته بالقول: أن التحولات الاجتماعية سلسلة من التغيرات التي تمس البناء الاجتماعي في قيمه ودور مؤسساته وأنماط تفاعلاته وهي غالباً ما تكون مرتبطة بظروف سياسية وأمنية واقتصادية أدت إلى إعادة توزيع الأدوار وتعزيز بعض الفئات وإضعاف فئات أخرى، وتمثل هذه التحولات استجابة المجتمع للأزمات ومحاولة منه لإعادة بناء التوازن الاجتماعي. [20، ص 45]

اما التعريف الاجرائي للتحولات الاجتماعية هو: مجموعة التغيرات التي تصيب البنية الاجتماعية، بما يشتمل عليه من أدوار وعلاقات وقيم وأنماط التفاعل نتيجة أحداث كبرى أو ضغوط اجتماعية وتاريخية مما يؤدي إلى إعادة تشكيل النسق الأسري أو المجتمعي.

2. التحولات النفسية: Psychological Transformations

تمثل التحولات النفسية جملة التغيرات العميقة التي تطرأ على البنية الداخلية للإنسان، وتشمل انفعالاته وإدراكه وطرائق تكيفه مع الأحداث بحيث يُعاد تشكيل منظومته الانفعالية والمعرفية نتيجة التعرض لخبرات ضاغطة أو أحداث استثنائية، فالتحول النفسي.. هو انتقال الفرد من حالة اتزان نفسي إلى حالة

تنظيم مواردها وعلاقاتها وهويتها بطريقة تسمح لها بالاستمرار والتعافي وتعزيز التماسك المجتمعي.

4. العلماء الشهداء: Martyred scientists

الشهيد.. الشاهد والجمع منه شهداء وأشهدته على موضوع فشهد عليه، والشهيد هو من قُتل في سبيل الله وقد أشهد فلان والاسم هو شهادة.. [11، ص 457] اما العالم: فهو من عرف الحق.. بدليله، وأطاعه عملاً وقولاً.. [3، ص 221] والعلم هو إدراك الشيء على ما هو عليه ، والعالم هو من أورثه علمه خشية الله سبحانه وتعالى.. [4، ص 13-14]

والشهيد جمعه شهداء، وهم من قتلوا في سبيل الله أو العقيدة الصحيحة فهو من الشهداء الأبرار ويسمى شهيداً لأنه في يوم القيامة سيكون شاهداً على كل من ساهم في ظلمه. [23، ص 304]

وقد وعد الله سبحانه وتعالى كل من يقتل في سبيله رحمة ومغفرة لا ثواب بعدها الا الجنة بقوله تعالى: (وَلَيَنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ). [1، آل عمران / الآية : 157] والشهيد في المعايير الاسلامية هو من نال درجة الشهادة أي بذل نفسه على طريق الأهداف السامية الاسلامية من أجل تحقيق القيم الانسانية الواقعية، بمعنى انه يبلغ بشهادته أعلى درجة يمكن أن يصل اليها الإنسان في مسيرة حياته لأنها ذروة التكامل والرقى في المسيرة الإنسانية، [27، ص 56] وفي غمار الرؤية الاجتماعية للشهادة ، فإنه ينظر اليها باعتبارها ظاهرة لها جذورها العميقة والممتدة في المجتمع ولها آثار جسيمة تتركها في الحياة الاجتماعية يتخذ المجتمع موقفاً منها لا يرتبط فقط بالشهيد بل بما حققه من نجاح فردي فقط بل بالموقف الذي سيبيده المجتمع تجاه الشهيد وغالبا ما يتخذ مسارين هما. [27، ص 44-

[45]

ارتباطه بالأفراد الذين ثار بوجه فسادهم في المجتمع

ارتباطه بأفراد حرّموا من وجوده وعطاءه

ويُنظر إليه ايضاً بوصفه عملية ديناميكية تشترك فيها الأسرة والمؤسسة والدولة وشبكات الدعم الاجتماعي وتعمل على توفير الحماية النفسية والاجتماعية للأفراد أثناء الأزمات. [6، ص 25]

وللصمود المجتمعي ثلاث مستويات متداخلة هي [6، ص 25-26]

1. الصمود الفردي: والمقصود به قدرة الشخص على التحكم بانفعالاته وتطوير استراتيجيات التكيف الإيجابية.

2. الصمود الأسري: هو قدرة الأسرة على إعادة تنظيم أدوارها ودعم أفرادها خلال الشدائد.

3. الصمود البيئي- المجتمعي: وهو قدرة المجتمع على الحفاظ على تماسكه القيمي وتفعيل شبكات التضامن وتوفير بيئة داعمة لاستمرار الحياة.

كما ويبرز الصمود المجتمعي في واقع مجتمعنا العراقي بوصفه خاصية اجتماعية تشكلت عبر عقود من الأزمات والحروب والأحداث الاستثنائية، إذ أنتج المجتمع من خلالها أنماطاً من التضامن والتحمل وإعادة بناء المعنى والتي جعلته قادراً على تحويل الخبرة المؤلمة الى قوة جماعية. [12، ص 92]. ولذلك يفهم الصمود المجتمعي ليس بالقدرة على تحمل الألم فقط انما هو عملية لإعادة تأويل الحدث وإعادة بناء الهوية وتحويل الخسارة الى فعل مقاومة اجتماعية مثلما يظهر بوضوح في أسر العلماء الشهداء حيث يمتزج رأس المال الرمزي للفقيد مع منظومة قيمية تخلق قدرة متجددة على التكيف والاستمرار.

ومن منظور سوسيولوجي.. فإن الصمود المجتمعي يعتمد على توفر عناصر أساسية مثل: الثقة الاجتماعية ورأس المال الاجتماعي/ شبكات الدعم / تماسك الهوية / المشاركة المجتمعية / والقدرة على صياغة سرديات مشتركة تمنح التجربة معنى مهماً.. [31، ص 55] وعليه.. فإن الصمود المجتمعي يمثل آلية جماعية لإعادة البناء وليس مجرد رد فعل مؤقت، بل هو عملية مستمرة تُعيد إنتاج التوازن والقوة والفاعلية داخل المجتمع.

اما التعريف الاجرائي للصمود المجتمعي: هو قدرة مجموعة اجتماعية على التكيف مع الشدائد والضغوط وإعادة

سادساً: حدود البحث

1. يقتصر البحث على دراسة التحولات الاجتماعية والنفسية داخل أسر الشهداء كحد موضوعي.
2. يتناول البحث البعد السوسولوجي من دون الخوض في التحليل السياسي أو الفقهي.
3. يعتمد البحث على المنهج التحليلي النظري ولا ينتهي الى الدراسات الميدانية.

المبحث الثاني: النظرية المفسرة للبحث

نظرية رأس المال الرمزي

تُمثل التحولات الاجتماعية- النفسية داخل أسر العلماء الشهداء مجالاً غنياً للتحليل السوسولوجي حين يُقرأ لذا سوف يتم الاعتماد هنا على نظرية اساسية وهي: نظرية رأس المال الرمزي.. لتقديم إطارا تفسيري عميق يوضح كيف تتحول الصدمة الفردية الى قوة جماعية تعيد إنتاج التماسك الاجتماعي.

ظهرت نظرية رأس المال الرمزي لدى بورديو في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين باعتبارها امتداداً لمشروعه الشامل في تحليل الحقول الاجتماعية وفهم منطق الممارسة، وقد طور بورديو فكرة رأس المال الرمزي ليشير الى: تلك القيم الاعتبارية المتراكمة مثل الهيبة والقداسة والعلم والاحترام والشرعية الأخلاقية التي تمنح بعض الفاعلين موقعاً استثنائياً في المجتمع وتحولهم الى مراجع معنوية تتجاوز حدود القوة المادية.. [32، ص 241-258] ويُنظر الى العلماء في السياق الديني والمعرفي بوصفهم حاملين لرأس مال رمزي عالٍ يتمثل في العلم والتأثير الأخلاقي والقدوة الاجتماعية وعند استشهاد أحد العلماء لا يختفي هذا الرصيد، بل يتحول الى طاقة رمزية مضاعفة لأن الاستشهاد نفسه يعمق الشرعية ويزيد من رسوخ الصورة الاعتبارية فيتحول الإرث العلمي والخلقي الى مورد اجتماعي تشاركه الأسرة والمجتمع معاً، وهذه القيمة الرمزية لا تبقى مجرد تصورات انما تعمل كقوة اجتماعية فاعلة، فهي تدخل في ما يسميه بورديو آليات إعادة الإنتاج الاجتماعي حيث يساعد الاعتراف الجمعي بالمكانة على توفير دعم شبكي للأسرة وتعزيز موقعها داخل الحقل

وهذا الارتباط هو أول ما يلقي على المجتمع من دروس الشهيد الثائر بوجه الفساد في مجتمعه.

اما التعريف الاجرائي للعلماء الشهداء: وهم رجال الدين من أدوا الدور الاجتماعي والمعرفي والديني في بيان الحق والدفاع عنه، فتعرضوا للقتل أو الاضطهاد المؤدي الى الموت، فاستحقوا الشهادة شرعا بوصفهم ضحايا التزامهم الديني والعلمي والأخلاقي .

خامساً: منهج البحث

اعتمدت الباحثة في هذا البحث على المنهج الوصفي- التحليلي. [25، ص 376]. القائم على اسلوب قراءة الظواهر الاجتماعية ومن ثم شرحها ضمن سياقها الثقافي والرمزي مع الاستفادة من الوثائق والخطب والتقارير المنشورة التي تمثل مادة معرفية تساعد على فهم التحولات داخل أسر العلماء الشهداء. ويقوم هذا المنهج على تحليل الخطابات وتفكيك دلالاتها الاجتماعية واستخلاص البنى الرمزية التي تنتجها هذه الأسر بعد حدوث الفقد . كما تم توظيف مقارنة التحليل السوسولوجي النوعي والتي تؤكد على فهم المعاني الاجتماعية المتراكمة لدى الأفراد والجماعات من خلال القراءة التأويلية للنصوص والسياقات الثقافية المحيطة بهم، ويستند هذا المنهج الى الدمج بين. [33، ص 88]

- التحليل النظري لمفاهيم رأس المال الرمزي والصمود النفسي.
 - التحليل الوثائقي لمحتوى الخطب والبيانات والمصادر العراقية ذات الصلة.
 - التحليل التفسيري (Interpretive Analysis) لفهم التحولات الاجتماعية والنفسية داخل الأسرة من منظور سوسولوجي- نفسي مركب.
- وبهذه المقاربة ترى الباحثة انه بالإمكان الكشف عن الأنماط العميقة التي تُعيد عبرها الأسرة تنظيم أدوارها وهويتها ومكانتها في المجتمع بعد الاستشهاد، وفق إطار علمي رصين يعتمد على نصوص ومعطيات منشورة وموثقة ، دون اعتماد أدوات ميدانية أو دراسة حالة تطبيقية.

المجتمع ويتجسد في أنماط سلوكية وخطابية تعزز من تماسك الجماعة وقدرتها على مواجهة الأزمات. وإن هذا التفاعل العميق بين الاعتراف الرمزي وعمليات التكيف النفسي يقدم إطاراً تفسيرياً قوياً لفهم كيف تسهم أسر العلماء الشهداء في بناء صمود مجتمعي مستدام يتجاوز حدود التجربة الفردية للحفاظ على الهوية وتقوية التضامن وإعادة إنتاج الاستقرار القيمي في المجتمع وهذا ما يجعل من هذه الأسر واحدة من أهم النماذج التي تُظهر قدرة المجتمع العراقي على تحويل الخسارة إلى قوة والحداد إلى مشروع استمرارية والفقْد إلى أساس لبناء صمود اجتماعي مستدام.

ودوره الديني وقيمه الأخلاقية وشبكة علاقاته الاجتماعية وبفقدانه تتحرك الأسرة باتجاه إعادة توزيع السلطة الرمزية قبل إعادة توزيع الأدوار العملية، فالزوجة غالباً ما تنتقل من دور الداعم إلى دور القيادي في اتخاذ القرار، بينما يُدفع الأبناء وخصوصاً الأكبر بينهم إلى أدوار نضج مبكر، فيتحمّلون مسؤوليات اقتصادية أو اجتماعية كان الشهيد يؤديها، وقد تشير دراسات الصمود الأسري إلى أن إعادة تشكيل الأدوار بعد الفقْد تمثل آلية تعويضية تمنع الأسرة من الانهيار.. [35، ص 78]

وفي إطار التحليل السوسولوجي .. ترى الباحثة أن في هذا السياق تظهر آلية مهمة وهي تحويل الدور الرمزي للشهيد إلى مورد تنظيمي للأسرة حيث يصبح إرثه العلمي والسلوكي مرجعاً لاتخاذ القرار داخل العائلة. وكأن الشهيد يواصل أداء دوره من خلال القيم التي تركها وهذا يتوافق مع طرح بورديو حول استمرارية رأس المال الرمزي عبر الذاكرة الجماعية وبهذا المعنى.. لا يُعاد فقط توزيع الأدوار، بل تُعاد صياغة هوية الأسرة إذ ينتقل بعض أفرادها ليصبحوا حاملين لرؤية الشهيد وهو ما يمنحهم سلطة رمزية جديدة داخل الأسرة.

كما يرافق إعادة توزيع الأدوار تحولات نفسية موازية لها ، فالزوجة أو الابن الأكبر يشعان بثقل الدور الجديد لكنه يتحول بمرور الوقت إلى عنصر من عناصر الصمود والتمكين. كما أن أسر الشهداء تعيد بناء توازنها من خلال نقل السلطة الأسرية إلى أفراد قادرين على تمثيل إرث الشهيد وتلبية احتياجات الأسرة. وهكذا يصبح انتقال الدور عملية نفسية- اجتماعية متداخلة، تُعيد ضبط

الاجتماعي إضافة إلى منحها مبررات معنوية للاستمرار، والقدرة على تحويل الفقْد إلى معنى.. [8، ص 34-36]

وفي إطار التحليل السوسولوجي.. ترى الباحثة: أن مكانة الشهيد العلمية والدينية ، بما تحمله من رأس مال رمزي لا تنتج تحولات نفسية داخل الأسرة فحسب، بل هي تفتح فضاءً اجتماعياً وثقافياً يسمح بظهور مسارات مهمة من الصمود المركب.. ومسارات تُستنفّر فيها قيم التضحية والقدوة فتعاد صياغة الفقْد باعتباره جزءاً من مشروع روحي- معرفي أوسع، وهكذا ينشأ شكلاً من أشكال الصمود المتسلسل بحيث يبدأ من الأسرة ومن ثم يتوسع عبر شبكات

المبحث الثالث: التحولات الاجتماعية والنفسية وتأثيرها

في بنية الأسرة

يهدف هذا المبحث إلى الكشف عن البنى النفسية والاجتماعية التي تشكلت داخل أسر العلماء الشهداء بعد الحدث الصادم وتحليل كيفية انتقال الأسرة من حالة الارتباك الأولي إلى مرحلة إعادة التنظيم وبناء التوازن الداخلي وذلك ضمن توضيح المطالب الآتية:

أولاً: التحولات الاجتماعية داخل أسر العلماء الشهداء

• التغيير في الأدوار الأسرية

يشكل تغيير الأدوار داخل الأسرة أحد أهم التحولات الاجتماعية التي تطرأ بعد فقدان شخصية محورية تمتلك وزناً رمزياً كبيراً مثل العالم الشهيد، فالاستشهاد لا يخلق فراغاً عاطفياً ونفسياً فحسب بل يحدث خللاً مباشراً في توزيع المهام والمسؤوليات والقوة داخل الأسرة مما يفرض إعادة تشكيل لبنية الأدوار بطريقة اضطرارية وسريعة ووفق منظور علم الاجتماع الأسري.. فإن الأسرة تُعاد صياغتها بعد الصدمات وفق قانون الحاجة أي انتقال الأدوار إلى من يستطيع ملؤها بغض النظر عن العمر أو الجنس وهو ما يؤكد بارسونز في حديثه عن تكيف النسق الأسري مع

المتغيرات: [34، ص 34]

وفي حالة أسر العلماء الشهداء يبرز هذا التحول بشكل مضاعف لأن الشهيد لا يمثل رب الأسرة فقط إنما هو مخزوناً من رأس المال الرمزي داخل العائلة والمجتمع من حيث مكانته العلمية

رابعاً: التوظيف الاجتماعي للمكانة الرمزية: [19، ص 223]

لا تبقى بطبيعة الحال السردية هنا حكراً على البيت بل تتوسع لتشمل المساجد والحوزات والمدارس والوسائط الإعلامية المحلية حيث يعاد تأطير السرد لصالح رسائل مجتمعية مثل: رمزية البطولة والتحفيز على العلم ومواجهة الظلم وبهذا التوظيف تستثمر سيرة الشهيد لتكون كمراسم رمزي يمنح الأسرة امتيازات اجتماعية وحضوراً في الفعاليات ودعمًا مؤسسياً أو مرجعياً في القضايا المحلية وهذه الشبكات الخارجية تقوي السردية وأثرها في الحفاظ على تماسك الأسرة وتعزيز موقعها الاجتماعي.

ومن الناحية النفسية- السوسولوجية، تصبح السردية آلية هي إعادة بناء للمعنى، لان الأسر التي تنجح في صياغة سردية متماسكة تحول هذا الألم الى اضافة لقيمة الهوية (identity capital) تساعد أفرادها على مواجهة الحزن المتجدد في المواسم والذكريات، أما الأسر التي تفشل في إنتاج سردية أو تجد سرديتها مهمشة اجتماعياً فتميل ، لأنها تعاني بوقتها من تفكك داخلي أو تدهور، فالمسألة ليست مجرد التعزية بل القصد منه إنشاء نظام متكامل من المعاني والمؤسسات والدعم الذي يعيد الحياة الاجتماعية للأسرة ويجعل منها عنصراً فاعلاً في بناء الصمود المجتمعي. [19، ص

[235]

ومن خلال استعراض هذا الموضوع.. يتضح لدى الباحثة.. أن تكوين سردية الشهيد داخل العائلة ليس مجرد استذكار للحدث فقط ، بل هو عملية اجتماعية واتصالية هدفها إعادة ترتيب حياة الأسرة بعد غياب الشهيد ، فالعائلة هنا عبر خطابها الداخلي وقصصها المتداولة عنه تحاول أن تمنح الفرد معنى إيجابياً يحافظ على تماسكها ويخفف من آثار الصدمة.

كما انها تعمل بذات الوقت كآلية لإعادة بناء الهوية الجماعية للأسرة، إذ تتحول صورة الشهيد الى مرجع أخلاقي وسلوكي يحتكم اليه أفراد العائلة في تعاملاتهم اليومية وكذلك تسهم السردية في تعزيز مكانة الأسرة داخل المجتمع، لأنها تمنحها نوعاً من الشرعية الرمزية التي تجعلها موضع احترام وتضامن اجتماعي.

وبهذا الشكل تبدو سردية الشهيد بمثابة جسر يربط بين الذاكرة الفردية والهوية الاجتماعية، وتساعد الأسرة على تحويل الألم الى

بنية القوة داخل الأسرة وتساهم في تعزيز قدرتها على الصمود والتماسك برغم الفقد.

• تكوين سردية الشهيد داخل العائلة

عندما تقع تجربة الاستشهاد فإن العائلة لا تتلقى الحدث المفجع فحسب، بل تدخل في عملية (تاريخية- رمزية) تبدأ فور وقوع الحدث وتستمر أجيالاً. فسردية الشهيد داخل العائلة هي تلك البنية المعنوية المتكاملة التي تبنيها الأسرة حول شخصية الشهيد لتستخلص منها معنى الخسارة وتحولها الى مورد رمزي وعملي وهذه العملية تتشكل من خلال أربع عمليات متداخلة وهي:

أولاً: الإشهار والتأريخ: [6، ص 35]

تتولى الأسرة أحياناً بالتعاون مع فاعلين دينيين ومحليين محاولة إضفاء طابع فعلي/عام على تجربة الفقد عبر الإعلان عن سيرته ونشر قصصه وجمع إنجازاته العلمية والعملية وتوثيق ظروف استشهاد، وهذا الفعل يحول الحدث من واقع شخصي الى حكاية مؤسسة تروى في المناسبات وتدرج في ذاكرة المجتمع المحلي ويصبح قادراً على إنتاج تأثير مستدام بدلاً من كونه ألم عابر.

ثانياً: الطقوس والذكر: [29، ص 34]

تلعب المجالس وتأيينات الذكرى وإقامة الأنشطة الدينية أو العلمية دوراً محورياً في ترسيخ السردية ومن خلال هذه الطقوس حيث يعاد إنتاج معانٍ محددة مثل: الشهادة كقيمة والتضحية كفعل نبيل والإرث العلمي كمصدر استمرار وهذا التكرار الطقوسي يعزز من ثبات السردية ويرسخ عناصرها في ذاكرة الأبناء والأجيال التالية.

ثالثاً: التربية التنظيمية للذاكرة: [29، ص 12]

في داخل الأسرة يتم تنسيق سردية الشهيد عبر أدوار محددة مثل: الزوجة بمثابة الحارس للذاكرة ، والأبناء هنا كحاملين للرسالة والأقارب هم موسعين للشبكة الرمزية عن طريق استخدام أساليب تربوية عملية مثل: رواية القصص اليومية وعرض المقتنيات الشخصية وتشجيع التخصص العلمي أو الديني لدى الأبناء وربط إنجازات الشهيد بمنهج الحياة التي يجب المحافظة عليها وهذه التربية هي من تجعل من حكاية الشهيد ليست مجرد ذاكرة بل منهج سلوكي ينتج عبر الروتين اليومي والممارسات الاجتماعية .

وعند ربط ذلك بواقع أسر العلماء الشهداء.. يتضح أن الدعم المجتمعي والرسمي يشكّلان معاً منظومة حماية متكاملة تسعى الى بقاء الأسرة مندمجة داخل النسق الاجتماعي بدلاً من الانعزال عنه، كما يمنحها القدرة على الاستمرار في أداء أدوارها الاجتماعية برغم فقدان الشخصية المحورية في حياتها، وهذا التكامل بين المجتمع والدولة يفسر أن استمرار قدرة هذه الأسر على إنتاج سردية إيجابية حول الشهيد، تُسهم الى مدى بعيد في تعزيز الصمود الاجتماعي وتماسك الجماعة ككل.

ثانياً: التحولات النفسية داخل أسر العلماء الشهداء

• الصدمة العاطفية :

تعد الصدمة العاطفية.. واحدة من أبرز التحولات النفسية التي تمر بها أسر الشهداء، إذ تمثل اللحظة الأولى التي يعاد فيها تشكيل الوعي بالغياب ومن ثم تبدأ معها سلسلة من التغيرات الداخلية على مستوى المشاعر والإدراك والسلوك. فالاستشهاد بوصفه حدثاً مفاجئاً وحاداً ومؤلماً، يُحدث خلخلة في بناء الأسرة النفسي، حيث ينتقل الأفراد فيها من حالة كانت تتسم بالاستقرار الانفعالي الى حالة من الاضطراب المشوب بالحيرة وعدم التصديق وتشير اغلب الدراسات النفسية الى أن الصدمة في سياق الأسر التي تفقد شخصية ذات مكانة علمية أو دينية تكون أعمق أثراً، لأنها ترتبط بفقد من يُمثل رمزاً ومعنى داخل العائلة وليس مجرد فرد. [30، ص 23]

وعادةً ما تظهر الصدمة العاطفية في شكل شعور بالانقباض النفسي والفراغ والتشتت الذهني، وقد يصاحبها بذات الوقت إنكار أو محاولات لإرجاع الحدث الى تفسير قدرتي يخفف من وقعته، وفي حالة أسر العلماء الشهداء تُضاف الى ذلك حالة من الصدمة المعنوية الناتجة عن فقد المستوى الرمزي للشخص، لأن الشهيد غالباً ما يكون هو مركز الثقل في الأسرة وصاحب التوجيه ومصدر المكانة الاجتماعية مما يجعل الفقد مزدوجاً.. فقداً عاطفياً ومعنوياً في ذات الوقت، والصدمة العاطفية في هذه الأسر لا تبقى ثابتة، إنما تتحول بشكل تدريجي الى نمط من التكيف المرتبط بالمعنى بحيث يبدأ أفراد الأسرة بالسعي لإيجاد تفسير أخلاقي او ديني يعطي

طاقة صمود وقدرة على الاستمرار وهو ما يجعل دراستها ذات أهمية وبعد اجتماعي كبير، ومن خلال المقارنة بين عدة نماذج لعوائل الشهداء، نلاحظ أن المجتمع المحلي يلعب دوراً مركزياً في تأكيد أو إضعاف سردية الشهيد، فالأسرة التي تجد خطاها مدعوماً في المنابر الدينية والتعليمية وفي الإعلام المحلي تكون أكثر قدرة على تحويل الذاكرة إلى رأس مال رمزي تستفيد منه اجتماعياً، أما العائلة التي لا تجد هذا الدعم فإن سرديتها تبقى حبيسة المجال الخاص وبهذا تكون قدرتها على الصمود أقل وهنا يظهر الترابط بين العائلة والمجتمع في إنتاج الشرعية الرمزية.

• الدعم المجتمعي والرسمي

يُعد الدعم المجتمعي والرسمي أحد اهم العناصر التي تسهم في إعادة توازن الأسر التي تتعرض لفقد أحد أفرادها، لاسيما إذا كان الشهيد هو شخصية علمية ذا مكانة معرفية ودينية داخل المجتمع. ويتضح من خلال الدراسات.. أن هذا النوع من الدعم لا يقتصر على تقديم المساعدات المادية وانما يشمل أيضاً الدعم المعنوي والرمزي الذي يُعيد للأسرة إحساسها بمكانتها واعتبارها الاجتماعي، فالدعم المجتمعي المتمثل في الأطر الدينية والجماعات المحلية والمؤسسات الاجتماعية يسهم في خلق شبكة تضامن تخفف من وطأة الصدمة وتساعد الأسرة على المحافظة على تماسكها الداخلي وتشير الأدبيات العربية الى أن الجماعة المحلية غالباً ما تعمل بوصفها وسيطاً علاجياً يوفر الاحتواء النفسي والاجتماعي لأفراد الأسرة ويمنحهم شعوراً بأن فقدهم لم يكن عابراً بل جزءاً من سردية عامة تُثمن تضحيات شهيدهم. [26، ص 19-20]

في حين أن الدعم الرسمي بما يشتمل عليه من إجراءات الدولة والمؤسسات الوقفية والبرامج الحكومية فله دوراً مكماً للدعم المجتمعي من خلال توفير ضمانات مادية وقانونية واستقرار معيشي يخفف الضغط الاقتصادي عن الأسرة، وأن وجود هذا الدعم يمثل اساساً في تحويل الفقد من العبء الاجتماعي الى رأس مال رمزي يمكن استثماره في تعزيز مكانة الأسرة داخل المجتمع، فهو يترجم الدعم الرسمي اعتراف الدولة بقيمة الشهيد العلمية والاجتماعية مما يعزز صمود الأسرة ويقوي قدرتها على التكيف مع التحولات والمرحلة التي تلي الاستشهاد. [26، ص 250]

- **الأولى:** وهي تنظيم التعبير الانفعالي بحيث يبدأ أفراد الأسرة بالقدرة على التحدث عن الشهيد دون الانهيار الانفعالي السابق، مما يسهل عملية تقبل الفقد تدريجياً.
- **الثانية:** فتتمثل في إعادة بناء الروتين اليومي للأسرة مثل: استعادة الأنشطة المنزلية والالتزامات الاجتماعية، وهو ما يمنح شعوراً بالاستقرار واستعادة القبض على زمام الحياة.
- **الثالثة:** ترتبط بإعادة تفسير الحدث ضمن إطار ديني أو أخلاقي وهو ما يساعد على تحويل الشعور بالعجز إلى معنى يمنح الأسرة قدرة على التحمل.

بمعنى أن التفسير القيمي للحدث يمثل عاملاً محورياً في تعزيز التوازن الانفعالي لدى الأسر المكلمة، لأنه يربط التجربة الفردية بمعنى اجتماعي واسع وهو ما يظهر في سياق أسر العلماء الشهداء تحديداً إذ يبدو هذا التوازن مرتبطاً بالمكانة العلمية للشهيد، حيث يمنح أفراد الأسرة شعوراً بأن فقيدهم لم يكن كخسارة شخصية فحسب بل هو حدثاً يحمل قيمة اجتماعية تُعزز قدرتهم على ضبط انفعالاتهم وعدم الانزلاق والانجرار نحو الانهيار أو الانعزال وبالتالي.. تصبح هذه المرحلة نقطة انتقال من الصدمة إلى القدرة على إعادة تنظيم الذات والاستعداد لبناء سردية جديدة حول الشهيد. كما أن الدعم المعنوي والطقوس الاجتماعية والزيارات وخطاب المجتمع عن الشهيد جميعها تعمل على تنظيم الانفعالات وتساعد الأسرة للانتقال من حالة الانكسار إلى حالة أكثر قدرة على التماسك، ولهذا فإن إعادة التوازن ليست مجرد هدوء انفعالي إنما هو عملية تواصلية تحافظ من خلالها الأسرة على علاقتها بالمجتمع وتستمد القوة منه على الاستمرار.

المبحث الرابع: استشهاد العلماء وبناء الصمود المجتمعي

أن استشهاد العلماء هو واحداً من أكثر الأحداث تأثيراً في البنية الرمزية والاجتماعية للمجتمع لما يحتله العلماء من مكانة أخلاقية ومعرفية تُجسد رأس مالاً رمزي قادراً على توجيه الوعي لأفراد المجتمع ويكتسب هذا الموضوع أهميته في المجتمعات التي تمنح للعلماء دوراً محورياً في الإرشاد الأخلاقي وصيانة الذاكرة الثقافية بحيث يتحول استشهادهم إلى حدث يتجاوز البعد العاطفي ليصبح فعلاً بنائياً يعيد تشكيل الوعي الجمعي. فالصمود لا ينشأ تلقائياً، بل يتكون من خلال

أو يمنح الفقد بعداً يخفف من حدته ويحوّله من حدث مأساوي إلى حدث يحمل قيمة وتوضحية. [16، ص 41] ، وبالتالي من هنا تبدأ سلسلة من التحولات النفسية التي تختلف حدتها باختلاف طبيعة العلاقة مع الشهيد ودوره داخل الأسرة ومستوى الدعم الذي تتلقاه عائلته من المحيط الاجتماعي.

أن هذا التحول في تفسير الحدث .. كما ترى الباحثة يُعد الخطوة الأولى في بناء القدرة على الصمود، لأنه ينقل التجربة من مستوى الألم إلى مستوى المعنى بحيث أن الصدمة العاطفية داخل أسر الشهداء لا تُفهم بمعزل عن الوضع الاجتماعي الذي يحيط بها فالدعم الجمعي والطقوس الدينية وخطاب المجتمع تجاه الشهيد جميعها تعمل كعوامل منظمة للصدمة فهي تساعد الأسرة على الانتقال من حالة الانهيار الأولي إلى حالة التماسك مما يجعل من الصدمة نقطة بداية لتحويل نفسي وليس نهاية لقدرة الأسرة على الاستمرار.

وبهذا المعنى.. فإن الصدمة العاطفية داخل أسر الشهداء ليست مجرد اضطراب انفعالي لحظي، بل هي عملية معقدة مرتبطة بإعادة بناء الهوية وفهم معنى الغياب والشروع في تشكيل سردية جديدة تعيد للأسرة توازنها الداخلي وقدرتها على الصمود.

● إعادة التوازن الانفعالي داخل أسر العلماء الشهداء:

بعد المرحلة الأولى من الصدمة العاطفية.. تبدأ بالعادة أسر الشهداء الدخول في مسار نفسي أكثر هدوءاً وهو ما يُعرف بمرحلة إعادة التوازن الانفعالي، والمقصود به تحول تدريجي تتضح من خلاله محاولات الأسرة لاستعادة السيطرة على مشاعرها وتنظيم طبيعة انفعالاتها، وفي هذه المرحلة لا يختفي الألم فقط بل يتحول من حالة انفعالية حادة إلى حالة أخرى أكثر توازناً تسمح بإعادة التفكير وإدراك الواقع بطريقة مختلفة، وهو ما يعني أن هذه المرحلة هي الجوهر الأساسي في عملية التعافي، لأنها تمهد للانتقال من ردود الأفعال الغريزية إلى استجابات أكثر نضجاً ووعي. [19، ص223] ويحدث هذا التوازن عبر ثلاث آليات رئيسية: [21، ص19-20].

الرسمية، حيث تساهم مؤسسات الدولة في توفير الدعم الاجتماعي والاقتصادي والنفسي لأسر الشهداء، إذ تعمل سياسات الرعاية الاجتماعية وبرامج الحماية الاجتماعية ومؤسسة الشهداء في تعزيز قدرة الأسرة على التكيف مع التحولات الطارئة وتدعيم مكانتها داخل المجتمع، حيث تشكل هذه الشبكات بيئة حاضنة تمنح الأسرة الإسناد العاطفي والمادي والمعنوي. وهو ما يبينه دوركايم بالقول: أن قوة المجتمع تقاس بقدرته على تحويل الفرد من حالة الضعف إلى حالة المشاركة عبر آليات التضامن. [13، ص 85-90]

وفي السياق العراقي.. تلعب المرجعية الدينية والمؤسسات الخدمية ومؤسسة الشهداء وهيئات الدعم الأهلي، دوراً محورياً في تعويض الصدمة^(2*) عبر زيارة الأسرة توفير الدعم الاقتصادي والاهتمام بالأيتام، وإعادة دمج العائلة في الحياة المجتمعية. وتظهر أهمية هذا العامل خصوصاً عندما يعمل المجتمع على تحويل الحزن إلى واجب جمعي فيشعر أفراد الأسرة أنهم ليسوا وحدهم بل جزء من منظومة أكبر تتكفل بحمايتهم.

ثالثاً: العامل الرمزي – تحويل الشهيد إلى رأس مال معنوي:

يمثل العامل الرمزي أكثر العوامل تأثيراً في تشكيل الصمود، لأن استشهاد العالم لا يُنظر إليه كرحيل فرد بل هو رحيل رمز يحمل دلالة معرفية ودينية وأخلاقية وتؤكد الدراسات الحديثة أن الرموز الجمعية تمتلك قدرة فائقة على تعزيز التماسك وتوجيه السلوك الجمعي نحو الصبر والتحمل فيتحول الموضوع من حياة أقلية صغيرة إلى موضوع يشترك فيه عامة الناس بحيث يخلق لديهم نوعاً من الفهم المشترك للممارسات جمعياً تأخذ دوراً مهماً في واقع حياتنا الاجتماعية، خصوصاً تجاه هذه الأحداث.. [9، ص 36]

وفي حالة العلماء الشهداء نرى أن هذا التأثير يتضاعف لأن العالم يمثل مرجعية أخلاقية ومعرفية فتحول سيرته إلى سرديّة مقاومة داخل الأسرة والجماعة يخلق طاقة معنوية طويلة المدى تُسهم في تحصين العائلة من الانهيار. وتظهر هنا قيمة الرأس مال الرمزي الذي تحدّث عنه بورديو والذي يعطي لذكرى الشهيد مورداً معنوياً يوجه السلوك ويعيد ترتيب الأولويات ويمنح الأسرة إحساساً بالكرامة والدور التاريخي.

شبكات الدعم الاجتماعي والخطابات الدينية والثقافية. ومن هنا، يتناول هذا المبحث عوامل تشكل الصمود وكيفية مساهمة استشهاد العلماء في بناءه وإعادة إنتاج التماسك الاجتماعي، وتدعيم الهوية الجمعية في لحظات التحدي ضمن توضيح المطالب الآتية: الصمود المجتمعي وعوامل تشكله:

أولاً: العامل النفسي: إعادة بناء المعنى بعد الفقد

يمثل العامل النفسي اللبنة الأولى في تشكل الصمود داخل أسر الشهداء، إذ تتجه الأسرة بعد صدمة الفقد إلى البحث عن معنى أكبر للحدث لكي تتمكن من احتوائه. وتوضح أغلب دراسات علم اجتماع الأزمات أن الأفراد لا يتجاوزون الفقد إلا من خلال إعادة تفسيره ضمن إطار قيمي قادر على امتصاص الألم وتحويله إلى هدف، وفي البيئة الدينية العراقية.. يتعزز هذا البعد من خلال ربط استشهاد العالم بمفاهيم التضحية والثبات وحماية الدين بما يجعل الصدمة أقل عشوائية وأكثر اتساقاً مع الهوية الروحية للأسرة ومن هنا تنشأ عملية إعادة البناء النفسي التي تُعيد ترتيب الانفعالات وتوجهها نحو التماسك بدلاً من الانهيار، كما أن هذا النمط من إعادة المعنى يمثل حجر الأساس في بناء المرونة النفسية ومجتمعنا بطبيعة الحال.. يمتلك نمطاً خاصاً من التعامل مع الصدمات يعتمد على تحويل الأزمة بكل أشكالها إلى فرصة لتعزيز التماسك الداخلي وهو ما يطلق عليه (ديناميات الصمود الاجتماعي) التي تتشكل عبر مستويات نفسية ورمزية واجتماعية متداخلة، كما أن وضعية مجتمعنا العراقي لا تنتج انهياراً شاملاً، بل تدفع الجماعات إلى ابتكار آليات دعم متبادلة تستند إلى البنى الدينية والقيمية والعشائرية التي تمنح الأفراد شعوراً بالحماية والمعنى. [28، ص 44-45] وترى الباحثة أن هذه الرؤية تنسجم مع واقع أسر العلماء الشهداء، لأن الحدث الذي وقع لا يفهم بوصفه فقداً فردياً بل يتحول إلى مورد اجتماعي يُعزز رمزية الشهيد ويُعيد إنتاج التضامن حول الأسرة ويسهم في تثبيت التماسك الاجتماعي والنفسي داخل العائلة ومحيطها.

ثانياً: العامل الاجتماعي – شبكات الدعم والتضامن ومؤسسات الدولة:

يتعزز الصمود المجتمعي عبر مستوى أوسع من العلاقات يشمل الأسرة الممتدة والجماعة الدينية^(1*) والمؤسسات الرسمية وشبه

وعليه، فإن الصمود المجتمعي في هذه العائلات ليس مجرد استجابة انفعالية بل هو بناء اجتماعي للمعنى يعتمد على تفاعل ثلاث قوى [6، ص26].

الأسما للرفزي للعالم الشهيد

التضامن الاجتماعي بصفته شبكة إسناد

القوة النفسية على امتصاص الصدمة

ومن خلال هذا التفاعل، يتحول الاستشهاد إلى واقعة مُولدة للقوة وقادرة على تثبيت تماسك الأسرة والمجتمع وإنتاج وعي جمعي يرفض الانكسار مهما كانت حدة الفقد

دور الاستشهاد في تحقيق التماسك الاجتماعي

يمثل الاستشهاد في الوعي الاجتماعي العراقي ظاهرة متجاوزة لحدود الفعل الفردي، بحيث يتحول إلى حامل رمزي يعيد توزيع المعنى ويؤسس لمنظومة واسعة من التضامن والتماسك داخل الجماعة الاجتماعية فوقاً لما يطرحه محمد باقر الصدر.. فإن المجتمع لا يتماسك فقط عن طريق المصالح المادية بل أيضاً من خلال القيم العليا التي تمنح الإنسان القدرة على تجاوز

العراقي يمتلك قابلية عالية لإنتاج نسق تضامني عند وقوع الفقد بحيث يصبح الخطر مشتركاً وعملاً لتكثيف الروابط والتآزر الاجتماعي، وهو ما يوضحه دوركايم.. أن وجود الرموز الدينية والطقوس الاجتماعية تؤدي دوراً مهماً في تعزيز التماسك الاجتماعي. [28، ص 47-63]

والاستشهاد هو منظومة تعيد تنشيط شبكات الدعم الشعبي والرسمي وتحول الصدمة إلى طاقة اجتماعية تسهم في بناء الصمود الجماعي، كما أن الشهادة تعمل على إعادة تنظيم انفعالي وقيمي داخل الأسرة ليتحول فيما بعد إلى تماسك اجتماعي ممتد يتجاوز حدود الأسرة إلى الفضاء العام. [15، ص 58]

وبذلك.. لم تكف سردية الاستشهاد حدثاً فردياً، بل هو منظومة رمزية اجتماعية تعمل على تشكيل الهوية وتنتج موجات

وبالتالي يتحول الفقد من حدث مأساوي إلى قيمة اجتماعية منتجة تصبح جزءاً من الذاكرة الجمعية وتنتقل من الأسرة إلى المجتمع ككل وهو ما يشكل جوهر الصمود المجتمعي. [28، ص 44-50]

ومن خلال تحليل المعطيات السابقة ترى الباحثة.. أن الصمود داخل أسر العلماء الشهداء لا يُعد نتاجاً تلقائياً للفقد بل هو عملية بنائية مركبة تتداخل فيها العوامل النفسية والاجتماعية والرمزية لتنتج نمطاً خاصاً من المرونة الاجتماعية، فالأسرة لا تقف عند حدود التعايش مع الألم، بل تعمل على تحويله إلى مورد معنوي يعيد تشكيل وعيها بدورها داخل الجماعة. وتكشف تجارب المجتمع العراقي أن الأسرة التي تمتلك مخزوناً قيمياً ودينياً عميقاً إلى جانب وجود شبكات دعم متعددة المستويات، تصبح أكثر قدرة على إنجاز عملية إعادة المعنى بعد الاستشهاد، الأمر الذي يجعل الفقد نقطة انطلاق لا نقطة انتهاء.

ونرى هنا.. أن رمزية العالم الشهيد تمثل حجر الزاوية في هذه العملية لأنها تمنح الأسرة مساراً تفسيرياً يرفع من قيمة التضحيات ويخلق حالة من الاستمرارية ما بين حياة الشهيد وقيم المجتمع وهذا المسار التفسيري لا يقتصر على البعد الديني فحسب، بل هو ممتد إلى البعد الاجتماعي بحيث تتحول السيرة العلمية والأخلاقية للشهيد إلى نموذج يُعيد إنتاج الانتماء والالتزام داخل الأسرة والمجتمع على حد سواء.

الالتزام والالام لصالح هدف أسمى. [18، ص 70] وهذا البعد هو ما يفسر كيف يعيد الاستشهاد ترتيب العلاقة داخل المجتمع والأسرة برفع التجربة الفردية للفقد إلى مستوى المجتمع المشترك. وفي السياق العراقي نرى أن استشهاد العلماء يخلق حالة من التماسك المضاعف، لأن العالم يُنظر إليه بوصفه رأس مال رمزي ذا ركيزة للهوية الاجتماعية مما يجعل من هذا الأمر مولداً لديناميات التضامن الفوري بين الأسر والمؤسسات الدينية والقوى الاجتماعية، فالأزمات تُنتج إمكانيات جديدة للتماسك بتقوية شبكات الدعم الاجتماعي وتكثيف الدور الرمزي للمؤسسات القيمية عند حدوث منعطفات حرجة. [28، ص 112]

وبطبيعة الحال أن فقد الرموز الدينية لا يعني انكسار الجماعة بل هو دليل على ارتفاع مستوى التضامن فحضورهم المعنوي يتحول إلى قوة جامعة تُعيد توزيع الأدوار والعلاقات داخل المجتمع، والمجتمع

6. لقد حاولت الباحثة من خلال هذا البحث تقديم نموذجًا تفسيريًا يجمع بين نظرية رأس المال الرمزي وتفسير الصمود المجتمعي، ليقتراح إطارًا يساعد على فهم الآليات التي تجعل هذه الأسر قادرة على التجاوز وإعادة البناء وبهذا يكون هذا البحث قد أسهم في سد فجوة معرفية في الأدبيات السوسولوجية العراقية، خاصة في ما يتعلق بدراسة الأسر التي فقدت شخصيات دينية ذات تأثير علمي وروحي.

التوصيات

- ضرورة تفعيل برامج الدعم النفسي والاجتماعي لأسر الشهداء.
 - إدماج هذه الأسر في برامج التمكين الاقتصادي.
 - تعزيز الخطاب المجتمعي الذي يرسخ قيم التضامن والتكافل.
- تشجيع إجراء دراسات ميدانية مستقبلية لاستكمال البعد التطبيقي للموضوع.

الاحالات الواردة في متن البحث:

1* - أن النظام القيمي في مجتمعنا الاسلامي.. بُني تاريخيًا على معايير ثابتة تُعلي من شأن التكافل وتحمل المسؤولية والتعاون وهي قيم ليست عابرة بل متجذرة تعبر عن الطبيعة الفطرية للإنسان، فالمجتمع الذي يفعل قيمه الإنسانية يصبح قادرًا على إنتاج شبكات الدعم الذاتي وتحافظ على توازنه عند حدوث فقد ما، فالفرد بمفرده لا يستطيع مواجهة التحديات إذا ترك دون مساعدة ومساندة لذا فالعودة الى القيم الاصلية يعيد تنظيم العلاقات بين الأفراد ويبني خط دفاع اجتماعي، فالتعاطف والتكافل والتراحم تمنع انزلاق المجتمع وتفككه ، وهذا الامر لا يعتبر سلوك اجتماعي بل هو جزء من منظومة بديلة تعوض غياب الدولة وتوفر القدرة على الصمود ، لان ما يقدمه المجتمع من حماية نفسية وعاطفية ومعنوي يعتبر جزءًا من مسؤولية جماعية تُسهم في تثبيت الاستقرار الاجتماعي وإعادة بناء التوازن بعد الصدمات.. للمزيد ينظر:

محمد باقر الصدر: اجتماعنا: دروس من فكر الشهيد ، مركز نون للتأليف والترجمة ، دار المعارف الاسلامية ، بيروت ، 2011 ، ص47.

2* - يمثل هذا النوع من الإسناد تطبيقاً عملياً لما يسميه علماء الاجتماع رأس المال الاجتماعي، أي شبكة العلاقات التي تمنح الأفراد قدرة أكبر على مواجهة الأزمات.

متعاقبة من التضامن وتقوي البنية الاجتماعية لتمنح المجتمع قدرة أكبر لمواجهة الأزمات.

الاستنتاجات

أسفر هذا البحث عن مجموعة من النتائج النظرية والتحليلية التي تُسهم في فهم أعمق لبنية الأسر التي فقدت علماء دينيين وما نتج عن الحدث من تحولات اجتماعية ونفسية. وأبرزها هي:

1. بالكشف عن آليات الصمود الاجتماعي داخل أسر العلماء الشهداء، أظهر البحث أن هذه الأسر تمتلك منظومة صمود خاصة مستندة الى البعد الديني والرسالي ومكانة الشهيد الرمزية والدعم الاجتماعي والمؤسسي وهذا ما يعزز قدرتها على تجاوز الصدمة وإعادة البناء.
2. بتوضيح التحولات في الأدوار والمكانة داخل الأسرة، كشف البحث أن هناك تغير في الأدوار بين أفراد الأسرة بعد الاستشهاد مثل انتقال أدوار المسؤولية لزوجة الشهيد أو الابن الأكبر وبروز أدوار جديدة مرتبطة بتمثيل الإرث العلمي والرسالي، واتساع نطاق العلاقات الاجتماعية للأسرة نتيجة مكانتها الرمزية.
3. إبراز دور رأس المال الرمزي في إعادة تشكيل هوية الأسرة حيث أن رأس المال الرمزي (prestige) الناتج عن استشهاد العالم يُعيد صياغة مكانة الأسرة داخل المجتمع ونظرة الآخرين إليها وتميز هويتها الاجتماعية وبالتالي يتحول هذا الرصيد الرمزي إلى مصدر دعم نفسي ومعنوي.
4. أن أهم التحولات النفسية التي وجدت وظهرت لدى أفراد الأسرة هي: ارتفاع مستوى التماسك. الداخلي وظهور مشاعر الفخر والمسؤولية الرسالية الموروثة وتراجع مستوى الانهيار مقارنة بأسر أخرى لا تمتلك نفس البنية الرمزية وكذلك اعتماد آليات تكيف إيجابية أكثر من الآليات السلبية.

5. توضيح أثر الخطاب الديني والإعلامي في بناء الصمود من خلال رفع المعنويات وتعزيز الصورة الرمزية للأسرة وخلق إطار اجتماعي يحميها من التفكك، اضافة الى تقوية الشعور الجمعي بالتضامن حولها.

المصادر

بغداد. داد. (2024).

<https://doi.org/10.30907/jcopolicy.vi68.727>

- 13- دوركايم، إميل. الأشكال الأولية للحياة الدينية (ترجمة محمود قاسم). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. (2011).
- 14- زقزوق، محمود حمدي. الإسلام والحضارة وتحديات العصر. القاهرة: دار الكتاب المصري. (2014).
- 15- صالح، قاسم حسين. علم النفس والحرب. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة. (1998).
- 16- صالح، نجاح. اضطراب ما بعد الصدمة وعلاقته بالدعم النفسي لدى عينة من الناجين من مدينة درنة. مجلة آفاق للدراسات الإنسانية، (3). جامعة بنغازي. (2025). Doi: . لا يوجد.
- 17- الصدر، محمد باقر. اجتماعنا: دروس من فكر الشهيد. بيروت: دار المعارف الإسلامية. (2011).
- 18- الصدر، محمد باقر. المدرسة القرآنية: التفسير الموضوعي والتفسير الجزئي والسنن التاريخية وعناصر المجتمع في القرآن الكريم (ط2). بيروت: دار الكتاب الإسلامي. (2013).
- 19- عبد الحسين، بشرى. (د.ت). المشكلات التي تعاني منها المرأة العراقية الأرملة في ظل الظروف الراهنة. مجلة البحوث التربوية والنفسية، (30) لا يوجد.
- 20- عبد الله الربيعي، فضل. (د.ت). التغيير الاجتماعي: مقدمة في المفهوم والموضوع. عدن: مركز مدار للبحوث والدراسات.
- 21- عوض، منى حسين. المساندة المجتمعية وأثرها على صمود زوجات الشهداء (رسالة ماجستير منشورة). فلسطين: جامعة النجاح الوطنية. (2023).
- 22- غيث، محمد عاطف. التحول الاجتماعي والتخطيط. القاهرة: دار المعارف. (2000).
- 23- الفيروز آبادي. القاموس المحيط (ط8). بيروت: مؤسسة الرسالة. (2005).

1- القرآن الكريم اولها واکرمها.

- 2- إبراهيم، تقدير (مراجع). معجم العلوم الاجتماعية (ترجمة وإعداد مجموعة من الأساتذة). القاهرة: الهيئة العامة للكتاب. (العمل الأصلي لليونسكو)، (1975).
- 3- ابن القيم الجوزية. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (ج1). المملكة العربية السعودية: دار ابن عفان للنشر. (1996).
- 4- أبو حامد الغزالي. إحياء علوم الدين. بيروت: دار ابن حزم. (2005).
- 5- أحمد، محمد عبد الخالق. أسس علم النفس. القاهرة: دار الفكر العربي. (2000).
- 6- الأعسر، صفاء. الصمود من منظور علم النفس الإيجابي. المجلة المصرية للدراسات النفسية، 20(66). (2010). https://journals.ekb.eg/article_102230.html?utm_source=chatgpt.com
- 7- بدريّة، محمد.. علم الاجتماع الأسري: دراسة تحليلية للمشكلات الاجتماعية. الرياض: عبد الله المقحم للنشر. (2019).
- 8- بورديو، بيير. مسائل في علم الاجتماع (ترجمة هناء صبيحي، مراجعة فريد الزاهي). أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للنشر. (2011).
- 9- تايلر، تشارلز. (د.ت). المتخيلات الاجتماعية الحديثة (ترجمة الحارث النيهان، مراجعة ثائر ديب). بيروت: المركز العربي للأبحاث.
- 10- جاد الله، محمود. إدارة الأزمات. عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع. (2015).
- 11- الجوهري. الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية (ط4). بيروت: دار العلم للملايين. (1987).
- 12- الدليمي، بدريّة صالح. محددات السلم المجتمعي في العراق بعد عام 2003. مجلة العلوم السياسية، (68).

- 24- كداي، عبد اللطيف. التحولات الاجتماعية القيمة للشباب المغربي. مجلة كلية علوم التربية، (7). الرباط. Doi:(2015). لا يوجد.
- 25- حمد، علي محمد. علم الاجتماع والمنهج العلمي: دراسات في طرائق البحث وأساليبه. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.(1988)
- 26- محمد، فوزي الهادي. الضغوط الأسرية من منظور الخدمة الاجتماعية. القاهرة: دار القاهرة.(2005)
- 27- مركز نون للتأليف والترجمة. الجهاد والشهادة. بيروت: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.(2014).
- 28- مطلق، مازن مرسل. سوسيولوجيا الأزمة: المجتمع العراقي أنموذجًا: دراسة نظرية (أطروحة دكتوراه غير منشورة). بغداد: دار الحضارة للطباعة والنشر.(2008).
- 29- المنسي، محمد. الأرملة والمجتمع. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.(2008).
- 30- النابلسي، محمد أحمد. الصدمة النفسية: علم نفس الحروب والكوارث. بيروت: دار النهضة العربية.(1991).
- 31- Al-Ziadi, A., Heshmati, R., Nemati, F., & Hashemi, T. The relationship of resilience and social support with post-traumatic growth. *International Journal of Health Sciences*.(2025)
- 32- Bourdieu, The forms of capital. In J. G. Richardson (Ed.), *Handbook of theory and research for the sociology of education* (pp. 241–258). Greenwood Press.(1986)
- 33- Denzin, N. K. *The research act: A theoretical introduction to sociological methods* (2nd ed.). Routledge.(2017).
- 34- Parsons, T. *Family, socialization and interaction process*. Free Press.(1955).
- 35- Walsh, F. *Strengthening family resilience*. Guilford Press.(2006).